فإن أكن أصبت العلة فهو الذى التمست ، وإن تكن هناك علة له فمثلى فى ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها ..... » وعلق الزجاجى فى نهاية نص الخليل قائلاً : « وهذا كلام مستقيم وإنصاف من الخليل رحمة الله عليه » .

وإذا كان - على ما يبدو ومن الخبر السابق - أن الخليل أول من تحدث عن العلة ، وقطرب أول من ألّف عنها كتابًا مستقلا . ألا يمكن أن يكون هذا تأثيراً مباشرًا من أستاذه الخليل ؟ ومثل هذا أيضا يقال عن علم القوافى الذى كان الخليل أول من تحدث عنه ، وكان قطرب من أوائل - إن لم يكن أول - من ألّف كتابا عنه . ألا يكون الأمر منطقيا عندما نقول إنه تأثير من الخليل مباشر على قطرب ؟ .

ونضيف إلى ما سبق أن كثرة مؤلفات قطرب إلى حد لافت للنظر يمكن أن تؤدى إلى التأكيد على وجود سرّ ما فى تجاهل كتب التراجم لعرض حياة قطرب تفصيلاً ، فقطرب « له من التصانيف كتاب معانى القرآن وكتاب الاشتقاق وكتاب القوافى وكتاب النوادر وكتاب الأزمنة وكتاب الفرق وكتاب الأصوات وكتاب الصفات وكتاب العلل فى النحو وكتاب الأضداد وكتاب خلق الفرس ، وكتاب خلق الإنسان وكتاب غريب الحديث وكتاب الهمز ، وفعل وأفعل والردّ على الملحدين فى تشابه القرآن وغير ذلك »[1] .

ولعل فيما مضى أدلة على عدم الغرابة في أن يذكر الخليل قطربًا وينسب رأيًا ما له ، مما يؤدى - فى نهاية الأمر - إلى القول بأن ذكر قطرب فى المنظومة النحوية للخليل لا يمثل مشكلة ما فى نسبتها إليه أو التشكك فى تلك النسبة .

---

(١) الأعلام ٧/ ٩٥ ، وفيات الأعيان ٤/ ٣١٢ .